

تجارة في مجاهل إيران

أول مغامرة في حياتي

تتمة لما نشر في العدد الأسبق

فاعمل بهذه النصيحة إذن دون أجر .

وتقع هذه القرية التي كنا فيها على أحد فروع شط
بنى تميم . وهذا الفرع ينحدر نحو الجنوب حيث يصب
في بحر « هذريان » كما يسمونه .

وفي كل يوم يجلس أحدنا في البيت للمراقبة ، والآخر
يذهب للتنزه على ضفاف النهر . فجاء يوم نهضت فذهبت
أتمشى على الساحل وأنا أجدو ببعض الغناء البلدي ، وبينما
أنا كذلك إذا بوحش — أبارك الله — يقفز من أمامي
فأبرق قلبي ، وأرعد بطني ، وظننت أن السحاب سيستهل
من تحتي ، فقد عملتها والله . . وما شعرت بنفسى إلا وأنا
في النهر أنظر إلى هذا الذي قفز من أمامي وإذا بي أرى
ثعلبا شاردا يتراقص ذنبه ولا بد أن يكون أحد القناصين
قد طارده لمدة طويلة . وحين ابتعد عن ناظري وردت إلى
روحي والتفت إلى نفسي قلت : الحمد لله الذي لم يرني أحد
على هذه الحالة . فخرجت من الماء أتعثر في أذيال ملابسي
من شدة ما أصابني من الفزع ، فلقد أصابني رجة تخيلت
معهما أن طبلا صغيرا علق في جوفى والضارب عليه هود ذلك
الثعلب . ثم زعجت ثيابي وأنا أتلفت يمنة ويسرة خوفا من
أن يرني أحد ، وعصرتها ونشرتها على فروع إحدى
الشجيرات . وبعد أن جفت لبستها وأنا أحمد الله على
السلامة إذ لم يمر بي أى مخلوق ثم هرولت إلى البيت مسرعا

وصلت البيت وقصصت على صاحبي ما أصابني وإذا به
يفاجئني بقصة أخرى عن نفسه ولست أدري لم أخفاها عني
قال صاحبي :

منذ يومين ذهبت أنا كذلك أتمشى على ضفة النهر وكان
معي عصاة صغيرة ، وحين وصلت إلى بعض الشقوق على
حافة النهر — وفيها تكمن الوحوش لتخفف عنها من
حرارة الشمس المحرقة — رأيت حيوانا صغيرا أصفر اللون
قابعا فيها فحدثني نفسي بقتله قبل أن يجهز على ، ثم تأهبت

أنزلنا الصناديق من على ظهور البغال ووضعناها
في البيت الذي نزلنا فيه . أخذ التجار يتوافدون علينا وصار
صغار التجار يتلاعب علينا بالأسعار ؛ فمرة يرفعونه إلى
أضعاف القيمة ، ومرة ينزلون بنا إلى أسفلها ، فاحترنا
في البيع . وفكرت قليلا ثم قلت لصاحبي : الأحسن أن
تبيع المال على صاحب البيت ليكسب منا بعض الربح عوضاً
عن استضافته لنا ، قال : حسن الرأي .

وبعد أخذ ورد صرّفنا المال على صاحب البيت .

جلسنا عنده يومين وفي اليوم الثالث طلبنا منه القيمة
فقال : والله إنها لمصبية . لم يمض على مشتراى منكم سوى
يومين وتطلبون مني القيمة . أما علمتم أنى اشتريت منكم
المال على أن أدفع لكم القيمة بعد مضي شهر . فالتفت إلى
صاحبي وأنا أقول : يقول صاحب المثل : « طلقها وخذ
أختها . قال : الله يلعن الاثنين منهما » . فاندعر صاحبي
لهذه المفاجأة ، وهب واقفا مملوءاً غضبا فأدركت الحظر
وقلت : نعم ، نعم . إنه لكذلك . قاشتد صاحبي حقاً وأراد
أن يطبق يده على رقبة صاحب البيت لولا أنى أخذته من
يده إلى خارج المنزل كأننا نتشاور في شيء يهمننا ؛ فهدأته
وأخبرته أننا في موقف يتطلب المجاملة ، فإن لم تهديء من
غضبك أخذونا عنوة وغصبا . فسلم صاحبي الأمر لله
وعليه الإنكال .

مضى علينا في تلك البقرة مدة عشرة أيام ؛ نحسن المنطق
معهم ، ونحترم الكبير ، ونلاطف الصغير ، وصاحب البيب
يتعامل في دراهمنا ونحن لا نقدر على شيء سوى اندماجنا
معهم كأفراد العائلة ، حتى أنهم إذا أرادوا الذهاب للصيد
أو إلى أى قرية من قرأهم المجاورة تركونا في البيت نقوم
عنهم في إكرام أى قادم ، ونذود عن الزرع خوفاً من أن
تأكله الماشية ، كأننا نساؤهم في البيت ، وهذا منتهى كرم
الضيافة كما ترى . . أليس كذلك ؟

توسطته في أم رأسه بكل مالمدي من قوة . ثم انقضت على
فزغت عنه وأنا أصبح بصاحبي ليلقعه الثانية ، فلم أر أحداً
فألقيت بنفسي في النهر وأخذ هو يدور في مكانه من شدة
الضربة .

هنا وبمثل هذا الموقف تنفع السباحة . فسبحت مع
منحدر النهر إلى مسافة عشرة أمتار منه . وخرجت
إلى الشاطئ فأمنت حينئذ طريق الفرار على الأرض
اليابسة ومن بعد قذفه بقطعة حديد . حادة
فأصابته قدميه فتدحرج إلى الماء ثانية بعد أن تشبث ببعض
أعشاب على حافة النهر ، وأخذ يدور في شكل دائرة من
عنف الضربة . النهر عميق ، والمركة في مرحلتها الأخيرة
وهكذا استرسلت في تهوري فقفزت وراءه في الماء وأخذت
أرسل الماء بقوة على وجهه حتى أغميته وكلا دار بجثته
نحوى درت معه . وما لبث أن امتلأ بطنه من الماء فخارت
قواه ولم يُبَدِّ حراكاً . وهنا نزل صاحبي إلى المركة ويده
« مسحات » فغطس رأسه في الماء وأجهز عليه تماماً .
خرجت أنا أتبخر في مشيتي من شدة الفرح ولذة الانتصار
وقالوا لي إن هذا الخنزير له ناب يسمى « خَلْفَه »
أي أنه خارج من فمه من طوله . ولو أصابك به لبقر
بطنك .

وفي الحقيقة لو كنت أعلم ذلك لما اقتربت منه ، ولوليت
الأدبار ، ولكن الحمد لله فقد فات الأوان وتحقق النصر .
وقلنا لهم بفخر وتعظيم إن الطفل في بلادنا كفيلاً
بقتل مثل هذا الحيوان ونحن هناك نظارد أعظم من هذا
لكنكم أنتم تهابونه وأنا أردد في نفسي « الحمد لله على
السلامة » فعظمنا في عيونهم وابتدأوا من ذلك اليوم في
إكرامنا واحترامنا .

وبعد مضي ستة وعشرين يوماً على ميعاد البيع ، وفدت
إلينا بغال محملة بفريسة ثانية أشهر من فريستنا . ولهذا
قبل صاحب البيت راضياً أن يسلمنا دراهمنا ففرحنا بها ،
وإن كانت ناقصة قليلاً .

وهكذا ودعناهم . وركبنا السفينة طالبين الوطن
والأهل والأحباب وتركناهم للفريسة الجديدة .

فهر الفارس

الكويت

بكل مالمدي من قوة وتأهبت للفرار كذلك عند ما يحين
وقته . وهويت عليه بضربة قاصمة فجندلته تحت قدمي مضرجاً
بدمائه ثم خصته جيداً وإذا به — وبيا لضيقة الشجاعة
والجرأة — فرخ طير « البوم » .

وبينا أنا ألقبه وإذا بأمه على الضفة الثانية تصبح صيحات
مزججة وكأنها أحست بما أصاب فلذة كبدها . وتركته ملقى على
الأرض وهربت مسرعا إلى البيت .

وهكذا وجرنا فيما حدث لكيلا مصدر ضحك طويل
متواصل .

وجاء يوم حراستي فأشرت على صاحبي أن يذهب لغسل
ملابسا في النهر ، فتردد بادي الأمر ، لكنه صمم على أن
يفعل بعد برهة ، وتوجه المحروس برعاية الله وأنا أشيعه
بضحكائي . وبقيت أنا أفكر فيما آل إليه حالنا في هذه
البقعة المنفصلة عن العالم . وبعد قليل رأيت حيواناً ضخماً
الجنة يشبه الجمار في شكله أقبل متبخرأ يقصد البيت ، وحدث
الله أنه عرف مدخله فلم يتجه إلي . ويظهر أنه اعتاد دخول
البيوت من أبوابها . ولذلك فكرت في نفسي وقلت لعل
هذا الزائر معتاد على زيارتهم . ولكنني ما لبثت أن سمعت
صراخ النساء والأطفال وهم يرددون الخنزير . الخنزير . ثم
تعالى صراخهم وعويلهم فقلت لأخطب نفسي : لا يمكن أن
أقف هكذا فلاؤد عن البيت وأهله هذا الخطر ولو كان
في ذلك موتي . فإما الانتصار أو الموت الزؤام . ثم اندفعت
مسرعاً أفتش عن شيء للدفاع به فوجدت قطعة من الحديد
الصلب طولها متران خطفتها وأجهت إلى الوحش داخل
البيت ، لكنني رأيته يولي الأدبار ، وهنا استمعت إلى
شيطاني يخاطبني ويستحثني : أليس من العار أن نحمد
السلامة فنفر هارباً ، وها هو الوحش أمام ناظريك . فعليك
به ؛ عليك به إن كنت شجاعاً . وهكذا اندفعت خلفه حتى
ضايقته في الركض خلفه ولم ير بداً من الهبوط في النهر .
فانحدرت أنا كذلك إليه مدفوعاً بحماسي وشجاعتى المفاجئة
لكن الوحش — وقد رأى المسافة طويلة لعبور النهر
بالإضافة إلى صيحات النساء والأطفال وصاحبي معهم
بأمرؤني جميعاً بالرجوع عنه — ارتبك على ما يظهر وصمم
على مواجهة المركة . لكنه ما أن وضع أول قدم على حافة
النهر للانتفاض على بعنف ؛ إلا وتلك القطعة الحديدية قد